قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بالإِيمَانِ بِهِ، والتصديق لَهُ، والنَّصْرِ لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ، فأَدَّوْا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الحَقِّ فِيهِ، يقولُ الله تعالى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى وآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران: ٨١] أي: ثَقَلَ مَا حَمَّلْتُكُمْ مِنْ عَهْدِي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ١٨١]. فَأَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيينَ جميعاً بالتصديقِ لَهُ، والنَّصْرِ لَهُ ممن خَالَفَهُ، وأَدَّوْا ذَلِكَ إِلَى مَنْ آمَنَ بِهِمْ وصدقهمْ مِنْ أَهلِ هذين الكتَابين.

الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْرِي، عن عُرْوَة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، أنها حدثته، أنَّ أوَّل ما بُدِيء به رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من النُّبُوَةِ حِينَ أَرَادَ الله كرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ العِبَادِ بِهِ ـ الرُّؤيا الصادقة، لا يَرَى رسولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا فِي نَومِهِ إِلاَّ جَاءَتْ كفَلَقِ الصُّبْحِ، قَالَتْ: وحَبَّبَ الله تعالى إليه الْخَلْوَة، فلم يكن شَيءٌ أَحَبَّ إليه من أن يخلو وحده [١٧٧].

زمان مبدأ الوحي

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وَكَانَ وَاعِيَةً[1] عن بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أن رسولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حين

---

[١٧٧] لم يصرح ابن إسحاق هنا بالسماع من الزهري لكنه صرح بالسماع عند الترمذي (٥/ ٥٩٦) كتاب المناقب باب (٦) حديث (٣٦٣٢) من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عروة عن عائشة به. وأخرجه البخاري (١/ ٣٢ ـ ٣٣) كتاب بدء الوحي حديث (٣). وأطرافه في (٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢) ومسلم (١/ ٤٥٥ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (٢٥٢، ٢٥٣/ ١٦٠) وعبد الرزاق (٩٧١٩) وأحمد (٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وأبو عوانة (١/ ١١٠، ١١٣) والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٦١ ـ ١٦٢) وابن حبان رقم (٣٣) كلهم من طريق الزهري به.

= ورواه الحاكم عن سعيد بن المسيب وفي سنده علي بن زيد وهو ضعيف. ويأتي في الوفاة النبوية أحاديث صحيحة تدل على أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة.
ينظر: السبل (١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

(١) واعية؛ أي: حافظاً، من وعى العلم يعيه: إذا حفظه وأدخلت التاء في واعية للمبالغة.

أراده الله بِكَرَامَتِهِ، وَابْتدأَ بالنبوة ـ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تحسر عنه البُيُوتُ[1]، ويُفْضِي إِلَى شِعَابِ[2] مَكَّةَ وبطون أَوْدِيَتِهَا، فلا يَمُرُّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قال: فيلتفت رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ وخلفه فلا يرى إِلاَّ الشَّجَرَ والحِجَارَةَ، فمكث رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك يَرَى وَيَسْمَعُ، مَا شَاءَ الله أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَهو بِحِرَاءَ[3] فِي شَهرِ رَمَضَانَ [١٧٨].

قال ابن إسحاق: وحدثني وَهْب بن كَيْسان مولى آل الزبير، قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عُمَيْر بن قتادة الليثي: حدِّثْنا يا عبيدُ كيف كانَ بَدْءُ ما ابتدىء به رسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِنَ النُّبُوَةِ حينَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قال: فقال عبيد، وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهِ بن الزُّبَيْرَ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ: كَانَ رسول الله ﷺ يُجَاوِر[4]

---

[١٧٨] إسناده ضعيف. لجهالة شيوخ عبد الملك بن عبيد الله وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٤٦) من طريق ابن إسحاق به. لكن صح في الباب عن جابر بن سمرة مرفوعاً: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن.

أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٢) كتاب الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه حديث (٢/ ٢٢٧٧) والترمذي (٥/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣) كتاب المناقب: باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ حديث (٣٦٢٤) وأحمد (٥/ ٨٩، ٩٥) والطيالسي (٢/ ١٢٣ ـ منحة) رقم (٢٤٥٠) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٦٤) رقم (١١٧٥١) والدارمي (١/ ١٢) المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه، وأبو يعلى (١٣/ ٤٥٩) رقم (٧٤٦٩) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (٣٠٠، ٣٠١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٥٣) والطبراني في «الكبير» (١٩٠٧) كلهم من طريق سماك عن جابر بن سمرة به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وفي الباب أيضاً عن علي بن أبي طالب. أخرجه الترمذي (٥/ ٥٩٣) كتاب المناقب حديث (٣٦٢٦) والحاكم (٢/ ٦٢٠) والدارمي (١/ ١٢) المقدمة: باب ما أكرم الله به نبيه من طريق الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. والعجب من الذهبي رحمه الله في موافقة الحاكم على تصحيحه فإنه ذكر الوليد في «ميزانه» (٧/ ١٣٣) وقال: ضعفه أحمد وصالح جزرة وغيرهما ولم يترك. وقال فيه محمد بن عبد الله بن نمير: ليس بشيء كذاب وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال أبو زرعة منكر الحديث يهم كثيراً، وقال مرة: في حديثه وهاء.

---

(١) حتى تحسر عنه البيوت؛ أي: تبعد عنه، ويتخلى عنها.

(٢) الشِّعابُ: المواضع الخفيَّة بين الجبال.

(٣) حِراء: جبل بـ «مكة».

(٤) يجاور في حراء، أي: يعتكف.

في حِرَاءَ من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تَحَنَّثُ[1] به قريش في الجاهلية (والتحنث: التبرر) [١٧٩].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب [من الطويل]:

وَثَـوْرٍ وَمَـنْ أَرْسَـى ثَـبِـيـراً مَـكَـانَـهُ وَرَاقٍ لِـيَـرْقَـى فِـي حِـرَاءَ وَنَـازِلِ[2]

قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحنيفية، فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفٌ وجَدَثٌ، يريدون: القبر، قال رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

لَـوْ كَـانَ أَحْـجَـارِي مَـعَ الأَجْـدَافِ

يريد الأَجْدَاثَ، وهذا البيت في أُرْجُوزَةٍ لَهُ، وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها ـ إن شاء الله ـ في موضعها.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول: فُمَّ، في موضع ثُمَّ؛ يبدلون الفاء من الثاء.

مجيء جبريل إلى النبي في حراء

قال ابن إسحاق: حدثني وَهْب بن كَيْسان قال: قال عُبَيْد: فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يُجَاور ذلك الشَّهْرَ من كل سنة يطعِمُ مَنْ جاءه من المساكين؛ فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِوَارَه من شَهْرِهِ ذَلِكَ كَانَ أولَ ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جواره ـ الكعبةُ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بيته؛ فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ الله تَعَالَى بِهِ فيه مَا أَرَادَ مِنْ كرامته مِن السَّنَةِ التي بَعَثَهُ الله تعالى فيها، وذَلِكَ الشَّهْرُ شَهْرُ رَمَضَان؛ خرجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِرَاء كما كان يخرج لجواره، ومعه أهله، حتى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ التي أَكْرَمَهُ الله فيها بِرِسَالَتِهِ، وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ جبريلُ عليه السلامُ بأمرِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَجَاءَنِي

---

[١٧٩] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٤٧) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) من طريق ابن إسحاق به.

---

(١) مما تحنَّث به قريش: قد فسره ابن هشام على أنهم يريدون به الحنفية، فأبدلوا من الفاء ثاء، كذا قال ابن هشام، والجيد فيه أن يكون التَحَنُّث هو الخروج من الحنث أي الإثم، كما يكون التأثم الخروج عن الإثم؛ لأن تفعّل قد تستعمل في الخروج عن الشيء وفي الإنسلاخ عنه، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي ذكره ابن هشام.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٧٠).

جبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ؛ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ، قال: فَغَتَّنِي[1] بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قال: قُلْتُ: ما أَقْرَأُ، قال: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قال: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قال: فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلاَّ ٱبْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بي فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ (٤٤/أ) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥] قَالَ: فَقَرَأْتُهَا، ثُمَّ ٱنْتَهَى فَٱنْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَكَأَنَّمَا كُتِبَتْ فِي قَلْبِي كِتَاباً، قال: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنَ الجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّماءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، قال: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٌّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السماء، يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فَوَقَفْتُ أنظر إليه، فما أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وجعلت أصْرِفُ وجهي عنه في آفَاقِ السماء[2]، قال: فَلاَ أَنْظُرُ في ناحيةٍ منْهَا إلاَّ رأيته كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ واقفاً ما أَتَقَدَّمُ أمامي وما أَرْجِعُ ورائي، حَتَّى بَعَثَتْ خديجةُ رُسُلَهَا في طَلَبِي فَبَلَغُوا أَعْلَى مَكَّةَ ورَجَعُوا إليها وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي، وانصرفتُ راجعاً إِلَى أَهْلِي، حَتَّى أَتيتُ خَدِيجةَ، فجلستُ إِلَى فخذها مُضِيفاً إليها[3].

فقالت: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَيْنَ كُنْتَ؟ فواللهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثُمَّ حَدَّثْتُهَا بالذي رأيت، فقالت: أَبْشِرْ يَا ٱبْنَ عَمِّ واثْبُتْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ خديجةَ بِيَدِهِ إِنِّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة.

خديجة تحدث ورقة بن نوفل حديث النبي

ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى وَرَقَةَ بْن نَوْفل بن أَسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَي ـ وهو ابن عمها، وكان وَرَقَة قد تَنَصَّر، وقرأ الكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ـ فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ـ ﷺ ـ أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قُدُوسٌ قدوس[4]،

---

(١) فَغَتَّنِي: يقال: غَتَّني بالتاء، وغَطَّني بالطاء أيضاً، ومعناه: شدَّني، وقال ابن الأثير: الغت والغط سواء؛ كأنه أراد عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة.

(٢) آفاق السماء: نواحيها.

(٣) مُضيفاً إليها، أي: ملتصقاً بها. يقال: أضفت إلى الرجل: إذا ملت نحوه ولصقت به، ومنه سمي الضيف ضيفاً.

(٤) قُدُوسٌ قُدُوسٌ؛ معناه: طاهر طاهر، وأصله من التقديس وهو التطهير؛ ومنه بيت المقدس، والأرض المقدسة؛ أي: المطهرة.

والذي نفسُ وَرَقَة بيده لَئِنْ كُنتِ صَدَقْتِنِي يا خديجة لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لَنَبِيُّ هذه الأمة، فقولي له فَلْيَثْبُتْ، فرجعت خديجة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل.

رسول الله يخبر ورقة بن نوفل بشأنه في الكعبة

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِوَارَهُ وانصرف صَنَعَ كَما كَانَ يَصْنَعُ: بَدَأ بالكعبةِ فطافَ بها، فلقيه وَرَقَةُ بن نَوْفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخي، أَخْبِرْني بما رأيتَ وسمعتَ، فأخبره رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: والذِي نَفْسِي بيدِهِ إِنَّكَ لنبيُّ هذه الأُمَّةِ، ولقد جَاءَكَ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى؛ ولَتُكَذَّبَنَّهْ[2] ولَتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّه ولَتُقَاتَلَنَّهْ، ولئنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ اليومَ لأَنْصُرَنَّ اللهَ نَصْراً يعلمه، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسَه مِنْهُ فقبَّلَ يَا فُوخَه[3] ثم انصرف رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِه [١٨٠].

خديجة تريد أن تستوثق من مجيء الملك النبي ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير، أنه حُدِّث عن خديجة رضي الله عنها، أنها قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَي ابْنَ عَمّ، أتستطيعُ أَنْ تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: «نَعَمْ» قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ كما كَانَ يَصْنَعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخَديجة «يَا خَدِيجَةُ، هٰذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي» قالت (٤٤/ب): قُمْ يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: «نَعَمْ» قالت: فتحوَّلْ فاجلس على فخذي اليمنى، قالت: فتحوَّل رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «نَعَمْ» قالت: فتحوَّلْ فَاجْلِسْ في حِجْرِي، قالت: فتحوَّلَ رسول الله ـ ﷺ ـ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، قالت: هَلْ تَرَاهُ؟ قال: «نَعَمْ» قال: فَتَحَسَّرَت[4] وألقت خِمَارَهَا ورَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ في حِجْرِهَا، ثم قالت

---

[١٨٠] ذكره بطوله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/١٨ ـ ١٩) عن ابن إسحاق وينظر الحديث السابق.

---

(١) النَّاموس: أصل الناموس هو صاحب سر الرجل في خيره وشره، فعبر عن الملَك الذي جاءه بالوحي به.

(٢) الهاء في قوله: ولَتُكَذِّبَنَّهْ وفي ما بعدها للسكت، كذا جاءت الرواية بسكونها وقد كان تحتمل أن تكون ضميراً منتصباً بالفعل لكن كذا جاءت الرواية.

(٣) اليافوخ: وسط الرأس.

(٤) فَتَحَسَّرت؛ قد فسره بقوله: ألقت خمارها، ويقال أيضاً: تحسر الرجل إذا ألقى عمامته عن رأسه.

له: هَلْ تراهُ؟ قال: «لا» قَالَتْ: يا ابْنَ عَمِّ اثْبُتْ وأبْشِرْ؛ فوالله إنه لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَان [١٨١].

قال ابن إسحاق: وقد حَدَّثْتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول: أدْخَلَتْ رسول الله - ﷺ - بينها وبين دِرْعِهَا، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَقَالَتْ لِرسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان [١٨٢].

الاستدلال بالقرآن على أن بدء نزوله كان في شهر رمضان

قال ابن إسحاق: فابتدىء رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتنزيلِ في شَهْرِ رَمَضَانَ، يقول الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١ ـ ٥] وقال الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان: ١ ـ ٥] وقال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] وذلك مُلْتَقَى رسول الله - ﷺ - والمشركين ببدر [١٨٣].

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين، أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْتَقَى هُوَ والْمُشْرِكُونَ بِبَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ [١٨٤].

---

[١٨١] إسناده منقطع. بين إسماعيل بن أبي حكيم وخديجة وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٥١ ـ ١٥٣) من طريق ابن إسحاق به. وأورده ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٨٣) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٢) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٦) من طريق ابن إسحاق أيضاً. وللحديث طريق آخر عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٦٤) من طريق النضر بن سلمة قال: ثنا عبد الله بن عمرو الفهري ومحمد بن مسلمة عن الحارث بن محمد الفهري عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة عن خديجة بنت خويلد به.

[١٨٢] إسناده منقطع أيضاً. فاطمة بنت الحسين لم تدرك خديجة. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٥٢) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٠٣) وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٢) من طريق ابن إسحاق. وقال البيهقي في «الدلائل»: وهذا شيء كانت خديجة رضي الله عنها تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقها.

[١٨٣] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٣٣) من طريق ابن إسحاق.

[١٨٤] أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤) عن ابن إسحاق به.

قال ابن إسحاق: ثم تَتَامَّ الوحْيُ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو مؤمن بالله، مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمَّل منه ما حُمِّلَه، على رضا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها[1] إلا أهل القوة والْعَزْمِ من الرُّسُل[2] بعَوْن الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْنَ من الناس، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

خديجة تبادر إلى الإيمان بالله ورسوله وتؤازر النبي وتثبته

قال: فَمَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، عَلَى ما يَلْقَى من قومه من الخِلاَف والأذى، [١٨٥].

وآمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِد�ْ، وصَدَّقت بما جاءهُ مِنَ اللهِ، ووازرته على أمره، وكانت أولَ مَنْ آمَن باللهِ وبرسولِه وصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ، فخفَّفَ الله بذلك عن نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ يَسْمَعُ شيئاً مما يكرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عليه وتكذيبٍ له فيُحْزِنَهُ ذَلِكَ إلاَّ فَرَّجَ الله عنه بِهَا إذَا رَجَعَ إِلَيْهَا: تُثَبِّته، وتخفِّفُ عليه، وتصدِّقه، وتهوِّن عليه أَمْرَ النَّاسِ، رحمها الله تعَالَى [١٨٦].

بشارة النبي ﷺ لخديجة

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عُرْوَة، عن أبيه عُرْوَة بن الزُّبَير، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أن أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ (٤٥/أ) ببَيْتٍ من قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ» [١٨٧].

---

[١٨٥] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٢) عن ابن إسحاق.

[١٨٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٢) عن ابن إسحاق.

[١٨٧] إسناده حسن. وأخرجه أحمد (١/ ٢٠٥) وأبو يعلى (١٢/ ١٦٩) رقم (٦٧٩٥، ٦٧٩٧) والحاكم (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥) كلهم من طريق ابن إسحاق به. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي على شرط مسلم ومحمد بن إسحاق لم يحتج به مسلم بل روى له في المتابعات والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٢٦) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع اهـ. وللحديث شواهد من حديث عائشة وأبي هريرة وابن أبي أوفى.

ـ حديث عائشة

أخرجه البخاري (٧/ ٥١١) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها حديث =

---

(١) ولا يَسْتَطِيع بها: أي لا يقوى عليها يقال: رجل مستطيع بكذا؛ أي: قويٌ عليه.

(٢) قال بعض المفسرين: في قوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، هم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

قال ابن هشام: القَصَبُ ههنا: اللُّؤلُو المجوف.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: أَقْرِئ خَدِيجَةَ السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يَا خَدِيجَةُ، هٰذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ مِنْ رَبِّكِ» فقالت خديجة: الله السَّلاَمُ، ومِنْهُ السَّلاَمُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلاَمُ.

فترة الوحي ونزول سورة الضحى

قال ابن إسحاق: ثم فَتَرَ الوحيُ عن رسول الله ـ ﷺ ـ فَتْرَةً من ذلك، حتى شَقَّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسُورَة الضُّحَى يقسم له ربه ـ وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ـ ما ودعه ربُّهُ وما قَلاَهُ[1]؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١ ـ ٣] يقول: ما صَرَمك[2] فتركك وما أبغضك منذ أحبك ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٤] أي: لِمَا عندي في مَرْجعك إليَّ خير لك مما عَجَّلْتُ لك من الكرامة في الدنيا ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] من الفَلْج[3] في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨]. يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، ومَنَّه عليه في يُتْمه وعَيْلته وضلالته واستنقاذه مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِرَحْمَتِهِ.

= (٣٨١٦) ومسلم (٤/ ١٨٨٨) كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث (٧٤/ ٢٤٣٤) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة.

ـ حديث أبي هريرة

أخرجه البخاري (٧/ ٥١٢) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها حديث (٣٨٢٠) ومسلم (٤/ ١٨٨٧) كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث (٧١/ ٢٤٣٢) وأحمد (٢/ ٢٣١) وأبو يعلى (١٠/ ٤٧٧) رقم (٦٠٨٩) وابن حبان (٦٩٧٠).

ـ حديث ابن أبي أوفى

أخرجه البخاري (٧/ ٥١٢) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة حديث (٣٨١٩) ومسلم (٤/ ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨) كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث (٧٢/ ٢٤٣٣) وأحمد (٤/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٨١).

---

(١) ما وَدَّعَه وما قلاه: وفي رواية الخشني ودعه بالتخفيف وهي لغة شاذَّة، وقد روي في بعض القراءات ما ودعك ربك بالتخفيف، وما قلى أي ما أبغضك تقول: قليت الرجل: إذا أبغضته.

(٢) ما صرمك، أي: ما قطعك، والصَّرْمُ: القطيعة.

(٣) من الفلج: أي من الظهور والنصر والظفر يقال: فلج الرجل على خصمه: إذا ظهر عليه.

تفسير «سَجَى»، و«العائل»

قال ابن هشام: سَجَى: سكن؛ قال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ الثقفي [من الخفيف]:

إِذْ أَتَـىٰ مَـوْهِـنـاً وَقَـدْ نَـامَ صَـحْـبِـي ... وَسَـجَـى الـلَّـيْـلُ بِـالـظَّـلاَمِ الْـبَـهِـيـمِ[1]

وَهَذا البيتُ في قصيدة له، ويقال للعين إذا سكن طرفها: سَاجية، وسجا طرفها؛ قال جرير بن الْخَطَفَىٰ [من الكامل]:

وَلَـقَـدْ رَمَـيْـنَـكَ حِـيـنَ زُحْـنَ بِـأَعْـيُـنٍ ... يَـقْـتُـلْـنَ مِـنْ خَـلَـلِ الـسُّـتُـورِ سَـوَاجِـي[2]

وهذا البيت في قصيدة له، والعائل: الفقير؛ قال أبو خِرَاشٍ الهُذَلِيُّ [من الطويل]:

إِلَـىٰ بَـيْـتِـهِ يَـأْوِي الـضَّـرِيـكُ إِذَا شَـتَـا ... وَمُـسْـتَـنْـبِـحٌ بَـالِـي الـدَّرِيـسَـيْـنِ عَـائِـلُ[3]

وجمعه عَالَة وعُيَّل، وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله، والعائل أيضاً: الذي يَعُول العيال، والعائل أيضاً: الخائف، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] وقال أبو طالب [من الطويل]:

بِـمِـيـزَانِ قِـسْـطٍ لاَ يُـخِـسُّ شَـعِـيـرَةً ... لَـهُ شَـاهِـدٌ مِـنْ نَـفْـسِـهِ غَـيْـرُ عَـائِـلِ[4]

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها، والعائل أيضاً: الشيء المُثْقِلُ المعيي، يقول الرجل: قد عالني هذا الأمر، أي: أثقلني وأعياني، قال الفرزدق [من الوافر]:

تَـرَى الْـغُـرَّ الْـجَـحَـاجِـحَ مِـنْ قُـرَيْـشٍ ... إِذَا مَـا الأَمْـرُ فِـي الْـحَـدَثَـانِ عَـالاَ[5]

---

(١) المُوْهِنُ: ساعة من الليل، والبهيم: الشديد السواد، ليس فيه ضياء، وكذلك البهيم في ألوان الخيل، هو الذي ليس فيه بياض من غرة ولا تحجيل ولا غير ذلك. وينظر: ديوانه ص: ٧٨.

(٢) من خلل السُّتور سَوَاجي: يعني من الشَّقّ الذي يكون بينها، يعني ستور الهوادج.
وينظر: ديوانه ص (٦٩)، وفيه «ينظرن» بدل«يقتلن».

(٣) الضَّريكُ: الفقير، والمستنبح: الذي يضل بالليل فينبح نباح الكلاب لتسمعه الكلاب فتجاوبه، فيعلم مواضع البيوت فيقصدها. والدريس: الثوب الخلق وثناه؛ لأنه أراد به الإزار والرداء، وهو أقل ما يكون للرَّجل من اللباس.
وينظر: الروض الأنف (١/ ٢٨١).

(٤) بميزان قسط: سيأتي تفسيره في القصيدة التي وقع فيها هذا البيت.
وينظر: شرح أشعار الهذليين ص: ١٢٢١، ولسان العرب (١٠/ ٥٠٦) (هلك)، وتاج العروس (هلك).

(٥) الغُرُّ: المشهورون، وأصله البيض وهو جمع أَغَرّ، والجَحَاجِحُ: السادة واحدهم جَحْجَاح، وكان =

وهذا البيت في قصيدة له:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠] أي لاَ تَكُنْ جَبَّاراً، وَلاَ مُتَكَبِّراً، ولا فَحَّاشاً فَظًّا[1] على الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللهِ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١] أي: بما جاءك من الله من نعمته وكرامتِه من النبوةِ فحدثْ: أي اذْكُرْهَا وادْعُ إِلَيْهَا.

فجعلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكُر ما أَنْعَمَ الله به عليه وعَلَى العِبادِ به مِنَ النُّبُوَةِ سرًّا، إِلَى (٤٥/ ب) مَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ،

وافْتُرِضَتْ عليه الصَّلاَةُ، فَصَلَّى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

ابْتِدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّلاَةِ[2]، وَأَوْقَاتُهَا[3]

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كَيْسان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي

= الأصل أن يقول: الجَحاجِيحُ بالياء فحذفها لإقامة وزن الشعر. والحَدَثَانُ: حوادث الدهر وصروفه وهذا الشعر يقوله الفرزدق يمدح به سعيد بن العاصي وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية ـ رحمه الله ـ وكان يوليه معاوية سنة ويولي مروان سنة أخرى، فأنشد الفرزدق سعيد بن العاصي بحضرة مروان هذه القصيدة وفيها البيت المتقدم ويتصل به [من الوافر]:

قِيَاماً يَنْظُرونَ إِلى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ الهِلالا

فقال له مروان قل قعوداً ينظرون... البيت

فقال: لا أقول إلا قياماً، وإنك يا أبا عبد الملك لصافنٌ من بينهم، يقال: صَفَنَ الفرس إذا وقف على ثلاث قوائم ورفع الواحدة. وصفن الرجل أيضاً إذا رفع إحدى قدميه ووقف على الأخرى.

وينظر: ديوانه ص (٤٢٤)، وفيه «الشم» بدل «الغر».

(١) الفَظُّ: الغليظ القاسي.

(٢) الصلاة في اللغة: الدُّعاء. قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم.

وقال الأعشى [من المتقارب]:

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا ... وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ

أي: دعا وكَبَّر، وهي مشتقة من الصَّلَوَيْنِ، قالوا: ولهذا كتبت الصلاة بالواو في المُصْحَفِ.

وقيل: هي من الرحمة.

(٣) المَوَاقيت: جمع ميقات، وأصله: موقات، بالواو، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ولهذا ظهرت في الجمع، فقيل: مواقيت، ولم يقل: مياقيت.

ينظر: النظم المستعذب ١/ ٥٢.

ينظر: النظم ١/ ١١.